

الباب الأول

المقدمة

أ. بواعث البحث

أدرك المصلحون في القرن التاسع عشر الفارق الكبير بين ما حصل في أوروبا من تقدم واكتشافات علمية، وبين الذي يزرع تحت وطأته المسلمون، فدعوا إلى الإصلاح الديني والإصلاح العملي. إذ أثمرت هذه الدعوات إنشاء المدارس، وتنظيم التعليم، وإنشاء المكتبات، فضلاً عن تشجيع الطباعة والنشر وتأسيس الصحف،¹ كان مدار الإصلاح القرآن الكريم الذي في هداه صلاح الفساد فأساس هذا الإصلاح ومنطلقه القرآن الكريم. القرآن الكريم دستور الأمة، و شريعة الله لأهل الأرض، و التشريع العام الخالد الذي تكفل بكل ما يحتاج إليه البشر في أمور دينهم و دنياهم. و لا عجب فهو كتاب كامل و نظام شامل، يشمل جوانب الحياة بأجمعها، في العقائد و العبادات و الأخلاق و المعاملات، و في السياسة و الحكم، و في السلم و الحرب، و في شئون الإقتصادية و العلاقات الدولية.²

و لفهم القرآن وتطبيقه في الحياة يحتاج البشر إلى التفسير لبيان مقاصده، بل استكشاف التفسير أسرار القرآن الكريم توجيهاً من الله للناس. كما قال محمد علي الصابوني بأن التفسير هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم، و بيان معانيه و

¹ محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1983 م)، ص 57 - 40 - 51 - 97.

² محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، (بيروت: عالم الكتب، 1985)، ط 1، ص 65.

إستخراج أحكامه و حكمه.³ و عرّف غيره بأنه علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

القرآن الكريم هو الكتاب الأخير المنزل على محمد صلى الله عليه و سلّم و هو خاتم الأنبياء، فلن ينزل أي كتاب سماوي مرة أخرى بعد القرآن. ولذلك، فمن المعقولي جداً إذ تكون مبادئ القرآن العالمية و مقاصده العامة صالحة لكل زمان و مكان. هذا الرأي يجلب الإقتناع بأن المشكلات الإنسانية في العصر الحديث ستظل الإجابة عنها القرآن الكريم عن طريق تفسير القرآن حيث سياقها مستمراً وفقاً للمتطلبات في هذا العصر. فذلك لأن القرآن ليس منزلاً لمن عاش في عهد النبي صلى الله عليه و سلّم فقط، بل لمن عاش ماضياً كان و مستقبلاً. فيمكن أن تكون هذه المبادئ العالمية و مقاصده العامة إجابةً على مطالب العصر الحديث.⁴

في الدراسة الإسلامية، اعتبر بعض الباحثين بأن دراسة تفسير القرآن قد تَمّت و نضجت، و لكن أثبت التاريخ بأن التفسير يتطور دائماً كما تتطور الحضارة والثقافة الإنسانية.⁵ علم التفسير هو العلم ينمو و يتطور كل فترة، و كل جيل من الأجيال لديه طرق التفسير وأسلوبه الخاص لأن التفسير حقيقته أن ينظر إلى النص الثابت على السياق المتحرّك. فهذا أنّ القرآن الكريم باعتباره صالحاً لكل زمان و مكان.⁶

³ نفس المرجع.

⁴ عبد المستقيم، *Epistemologi Tafsir Kontemporer*، (يوجياكارتا: LKis، 2010)، ط 1، ص 54.

⁵ أمين عبد الله، المدخل في عبد المستقيم، *Aliran-Aliran Tafsir*، (يوجياكارتا: Kreasi Wacana، 2005

م)، ص ٧.

⁶ محمد رضا، *Tafsir dan Dinamika Sosial Islam*، (يوجياكارتا: Teras، 2010 م)، ط 1، ص 20.

و قد أكّد الدكتور عدنان محمّد أمانة على إصلاح التفسير و تحديده من الإنحراف و الخطاء، و ألزم بعض الضوابط للمفسّر بالرأي منها "الإستفادة من الكسب العلمي و الحقائق المعرفية في ميادين الحياة كلّها"، و يقول: "إن هذا الأمر هو أهمّ ما تدعو إليه الحاجة من التفسير بين كلّ فترة و فترة، لبيان استمرار خلود القرآن و إعجازه على ممرّ الزمان و كرّ الأيام، و يساعد على هذا الأمر أن العبارة القرآنية فيها مرونة تجعل معاني كثيرة تخرج منها أو تتحمل الآية".⁷ و مرونة الصياغة القرآنية جزء مهمّ من إعجاز القرآن و دلّالته على أن كلمات الله لا تنفذ و لا تنتهي. و لذا كان من حكمة الله البالغة، أنّ ما نقل عن النبيّ صلّى الله عليه و سلّم في تفسير القرآن ممّا يتعلّق بنشأة الكون و أسرار الوجود و الآيات الكونية و النفسية، أقلّ ممّا نقل في الأحكام، و ذلك لأن الأحكام الشرعية ثابتة دائمة، لا تتغير بتغيّر الأزمان و العصور، أما الآيات الكونية فهي عرضة للتقدّم العلمي، لذلك جاءت صياغها على هذا النحو من المرونة. فطبعاً هذا القول دلّ على تطوّر التفسير من فترة إلى فترة.⁸

و قد كتب التاريخ رحلة المفسرين حسب العصور، لعرف أن العلماء كل عصر أضافوا من خلال معارفهم و كسبهم العلمي الجديد إلى التفسير، حيث ظهرت لهم دلالات جديدة لآيات القرآن كشف عنها التقدم العلمي و معطيات الحضارة المتجددة، مما يؤكّد حقيقة خلود القرآن الذي لا تنقضي عجائبه، و يثبت صدق قوله تعالى: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ" (فصلت : 53).⁹

⁷ عدنان محمّد أمانة، *التجديد في الفكر الإسلامي*، (بيروت: دار ابن الجوز، 1424 هـ)، ط1، ص 218.

⁸ نفس المرجع.

⁹ نفس المرجع.

قد كانت التغيرات الشديدة في جميع نواحي الحياة الإنسانية منذ العصر الكلاسيكي إلى العصر الحديث، و من أكبرها ناحية الإجتماعي. إنّ المجتمع البشري عبارة عن منظومة معقّدة غير متوازنة تتغيّر وتتطوّر باستمرار، حيث تطوّر الشعب المتأخر إلى تقدّمه فتكون المشكلات التي يواجهها متنوعة. و ذلك محتاج إلى الحلّ الصحيح مناسباً لكل زمان. كما ذكر في السابق بأنّ القرآن يشمل جميع نواحي الحياة الإنسانية. فكيف يكون القرآن يعالج القضايا الإجتماعية التي يواجهها المجتمع الحديث؟ فهذه الأسئلة تسبب ظهور الإتجاه الإجتماعي في تفسير القرآن الكريم حيث تفسّر الآيات القرآنية الثابتة بالمنظور الحديث مراعاة لما ورد في المشكلات الإجتماعي. و كان زعماء المفسّرين المعاصرون ذو الأراء الجديدة في تفسير آيات القرآن المختلفة عن المفسّرين السابقين لاسيّما في الآيات التي تشتمل أحوال المجتمع لأنّ أحوال الإجتماعي الحديثة و ظروفها متفرقة عن ما مضت. و من المسائل الإجتماعية اختلف فيها المعاصرون و الكلاسيكيون هي تعدد الزوجات في آية 3 من سورة النساء، ففي فهم هذه الآية اختلف الناس إلى ثلاثة أقوال، منهم من يقول بجواز تعدد الزوجات على إطلاق كما قدّمه المفسرون الكلاسيكيون و منهم من يقول بإباحته بشروط محدودة حالة الضرورة كما قاله المعاصرون و الأخير من يقول بعدم جوازه كما قدّمه الحركة النسائية الليبرالية.¹⁰ قد دلّ نص آية 3 من سورة النساء على جواز تعدد الزوجات بشرط العدالة بينهن و لكن في آية 129 من سورة النساء دلّت الآية على عدم العدالة في نفس الزوج لزوجاته، قال فزل الرحمن إن الكلاسيكيين يأكدون على إذن بجواز تعدد الزوجات لكل من المسلمين فالعدالة تعود في أنفوس هؤلاء الأزواج دون مشطورة معروفة، أما المعاصرون قالوا بأن

¹⁰ عبد المستقيم، المرجع السابق، ص 258.

العدالة شرط مقدم على إذن الإباحة و قالوا بأن الإذن على إباحة تعددت الزوجات محدود و متعلق بحالة الإجتماعية وقت نزول الآية.¹¹

إنّ التفاسير في عهد النبي صلى الله عليه و سلّم و الصحابة صالحة في زمانهم و لكن غير منطبقة لبعض المجال في العصر الحديث، لأنّ الثقافة و الحضارة و المشكلات الإجتماعية في ذلك الزمان تؤثر كثيراً على أفكارهم في فهم القرآن و تطبيقه، فهذا طبعاً مختلفة بما يجري في العصر الحديث من الثقافة و الحضارة و المشكلات الإجتماعية و غيرها من الشؤون البشريّة.¹² و من أجل المحافظة على علاقة القرآن الكريم بتطوّر الزمان فينبغي أن يفسره كلّ عصر، هذا هو كما قاله محمّد شحرور في كتابه "الكتاب و القرآن؛ القراءة المعاصرة". و على هذا الفكرة فليس لأحد أن يقّدس التفاسير الكلاسيكية غير المناسبة بتقدم الزمان. لئلا يكون ما ذكره محمّد أركون بـ"تقديس الفكر الديني".¹³

رأى الباحثون بأن ظهور الاتجاه الإجتماعي في تفسير الآيات القرآنية يُبدأ بظهور مذهب المدرسة العقلية الحديثة بقيادة جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و السيد رشيد رضا،¹⁴ فأساس من أسس منهجهم في تفسير القرآن هو "الإصلاح الإجتماعي" يعني استخدام تفسير القرآن لتحسين أحوال المجتمع الإسلامي إما بالدعوة إلى الأخلاق السامة و الصفات الحميدة و إلى الوحدة

¹¹ نفس المرجع، ص 261.

¹² أمين عبد الله، المرجع السابق، ص vi.

¹³ المرجع السابق، ص 560.

¹⁴ نفس المرجع، ص 580.

الإسلامية.¹⁵ ثمّ في فترة يليها ظهور عدة المفكرين المسلمين في دراسة التفسير الحديثة نحو محمد مصطفى المراغي الذي قدم آرائه التفسيرية في الدراسات الدينية في شهر رمضان و الشيخ محمود شلتوت وهو ممن درسوا أفكار الإمام محمد عبده الإصلاحية التجديدية و يأتروا بها - كما قال خفاجي-، و الشيخ الطنطاوي جوهرى وهو يملأ تفسيره بكل ما توصل إليه المكتشفات العلمية وتوسع فيها وأطال وذهب.¹⁶

و هذا البحث يحثّ الكاتب لنظر التطور الفكري عند رجال المدرسة العقلية الحديثة في فهم القرآن و الآيات الإجتماعية خاصةً و كيفيتهم في تطبيق تفسيرهم للقرآن ليحلّ القضايا الإجتماعية وفقاً لظروف المجتمع الحديث. و طبعاً هذا البحث لا يوجبه إلا بدراسة دقيقة. فلذلك أراد الكاتب أن يدرّس هذه المسألة و أصدر موضوعاً : "الاتجاه الإجتماعي في تفسير القرآن الكريم عند المدرسة العقلية الحديثة".

ب. تعبير المشكلات

انطلاقاً من بواعث البحث السابقة، فالمسألة الأساسية يقدمها الكاتب هي "كيف تفسير الآيات القرآنية على القضايا الإجتماعية عند المدرسة العقلية الحديثة". و لتحليل المسألة الأساسية فقسمها إلى الأسئلة كما تلي:

¹⁵ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، (الرياض: إدارة البحوث العلمية و الإفتاء، 1983 م)، ط2، ص 383-385.

¹⁶ نفس المرجع، ص 201.

1. ما المفهوم من الإتجاه الإجتماعي و ما علاقته بالمدرسة العقلية الحديثة ؟
2. كيف يكون تفسير القرآن في بعض الشؤون الإجتماعية عند رجال المدرسة ؟

ج. تحديد الموضوع

لتوضيح البحث و تحديده و المنع على خلاف الفهم سيقدم الكاتب عن المعاني المتعلقة بالموضوع كما يلي:

"الإتجاه الإجتماعي" يرادفه اللون الإجتماعي و يقول الآخر بالتفسير الإجتماعي. وهو إتجاه من إتجاهات التفسير ظهرت في القرن الرابع عشر كما ذكره فهد الرومي بظهور المدرسة العقلية الإجتماعية الحديثة. و قال صلاح عبد الفتاح الخالدي أنه من إتجاهات التفسير في العصر الحديث الذي يركز صاحب التفسير ذي هذا الإتجاه على إصلاح مجتمعات المسلمين، و على معالجة أمراضها ومشكلاتها على أساس القرآن.¹⁷ و غيره أنه يسعى إلى كشف الأصول والقواعد والسنن التاريخية والاجتماعية في القرآن الكريم.

"المدرسة العقلية الحديثة" هي مدرسة التجديد الديني التي غرس بذرها جمال الدين الأفغاني وتلاميذه، و تحركت هذه المدرسة في إصلاح أحوال المسلمين اعتقاداً و عبادة و إجتماعياً و سياسة، وتتطور أفكار هذه المدرسة بين علماء الأزهر في مصر. فمن رجال المدرسة الإمام محمد عبده و السيد رشيد رضا و محمد مصطفى المراغي و الشيخ محمد شلتوت و غيرهم.

¹⁷ صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين مناهج المفسرين، (دمشق: دار القلم، 2008م)، ط 3، ص

و تطلق بـ"العقلية" بسبب استخدامتهم الكثيرة للعقل في معالجة القضايا الدينية و الاجتماعية و وجعلواه عاليا في الإجتهااد. و قد يطلق هؤلاء بـ"العصريين" لأنهم استنبطوا على النصوص الدينية بالنظرات المعاصرة.

د. أهداف البحث و أهميته

بعد النظر إلى تحليل المسألة فالأهداف لهذا البحث هي:

1. معرفة المفهوم من الإتجاه الإجتماعي و ما علاقته بالمدرسة العقلية الحديثة.

2. معرفة تفسير القرآن في بعض الشؤون الإجتماعية عند رجال المدرسة.

و أما أهمية هذا البحث كما يلي:

1. أن يبين تطور تفسير القرآن في العصر الحديث. و من المعروف أن المدرسة العقلية الحديثة

تأثر كثيرا في تطور تفسير القرآن و قدمت النظرات الجديدة في فهم القرآن ما ليس لدي

سابقها. فمن منهجها استخدام سياق الآيات على ظهر النص ثم تطبيقه على متطلبات

العصر الحديث.

2. أن يعين الناس في فهم تفسير القرآن لإصلاح الحياة الإجتماعية. القرآن هدى و مرشد

للناس في جميع شؤونهم الدينية و الدنيوية، و قد ذكر الأفغاني أن سبب ضعف المسلمين و

تخلفهم هو بعدهم للقرآن. فتطبيق مقاصد القرآن في الحياة الإنسانية أمر لازم لإصلاح

إجتماعتهم و سياستهم و اقتصادهم، كما أرادها رجال المدرسة العقلية الحديثة.

هـ. الدراسات السابقة

الموضوع عن المدرسة العقلية الحديثة والإتجاه الإجتماعي ليسا بالموضوع الجديد، فهو من الموضوعات الشيقة والجذابة، لذا فإن الكاتب لا أحزم أن أحدا قبله لم يكتب في الموضوع. كتب الدكتور فهد الرومي الأستاذ في الدراسات القرآنية في كلية المعلمين بالرياض عن المدرسة العقلية الحديثة تحت عنوان "منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير" يتناول فيه المصنف المراحل التي مر بها التفسير ومزايا كل مرحلة، ورجال المدرسة العقلية، ومنهجها في التفسير، وموقفها من القضايا القرآنية، وتأويلها لآيات من القرآن، وأثر المدرسة العقلية في الفكر الإسلامي، وموقف علماء المسلمين.

ثم قدم يوسف أحمد حسين الخلايله الرسالة العلمية تحت العنوان "ملامح المدرسة العقلية الحديثة في تفسير الدكتور عبد الله شحاته"، وقدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير، فنوقشت الرسالة و أجيّزت بتاريخ 12-08-2008 م بالجامعة الأردنية. تشتمل هذه الرسالة على موقف المدرسة العقلية الحديثة على القضايا الدينية و الإجتماعية نظرا من تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الله شحاته.

فأما هذه الدراسة خاصةً تتناول مفهوم الإتجاه الإجتماعي في تفسير القرآن و موقف المدرسة العقلية الحديثة على ثلاثة القضايا الإجتماعية نظرا من آراء كبارها السيد محمد رشيد رضا و الشيخ محمود شلتوت ولهما كثرة الحديث حول اصلاح الشؤون البشرية اعتقاديا و اجتماعيا.

و. منهج البحث

1. نوع البحث

ستكون طريقة هذا البحث العلمي هي طريقة البحث المنهجي الكيفي (qualitative). المنهج الكيفي هو يتعلق بالظواهر و الأحداث التي حدثت في الواقع، و كون المنهج في البحث عن طائفة الناس أو الموضوع الخاص أو الأحوال الخاصة أو المنهج التفكير أو ظاهرة الواقعة.

2. البيانات و مصادرها

و البيانات المحتاجة في هذا البحث تنقسم إلى ثلاثة: (1). المعلومات المتعلقة بالإتجاه الاجتماعي و ما يتعلق به، (2). المعلومات المتعلقة بالمدرسة العقلية الحديثة و ما تتعلق بها من نشأة و خصائص، (3). موقف المدرسة العقلية الحديثة على القضايا الاجتماعية نظراً من آراء السيد رشيد رضا و الشيخ محمود شلتوت و هما من كبار رجال المدرسة. أما المصادر البيانات تنقسم إلى قسمين: أساسياً وثانويّاً، فأول القسمين ما هي إلا كتب تشتمل على آراء السيد رشيد رضا و الشيخ محمود شلتوت وأفكارهما عن تفسير الآي القرآنية و القضايا الاجتماعية محاور الأول لهذه الدراسة منها:

1. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار للسيد رشيد رضا

2. تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت

3. الوحي المحمدي

4. الإسلام عقيدة و شريعة

5. مجلة المنار

6. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لفهد الرومي

وغيرها من المؤلفات التي تتكلم عن الاتجاه الاجتماعي و آراء رجال المدرسة العقلية الحديثة. وثان القسمين هي كتب التي ذات العلاقة بالبحث ككتبه ومؤلفاته بجانب كتب التفسير والأحاديث والمعاجم والقواميس وغيرها من الكتب والرسائل العلمية والثقافية والمجلات العلمية والإجتماعية والمواقع الإلكترونية والموسوعة الكتوبية التي ذات العلاقة نحو هذا البحث.

3. طريقة جمع البيانات و تحليلها

و الطريقة التي استخدمها الكاتب في جمع البيانات هي الدراسة المكتبية (library research) و هي المحاولة لتناول البيانات من النظريات و الأفكار و الآراء من مطالعة الكتب و المجلات و الجرائد و المذكرة الملحوظة و إلى نحو ذلك.

و الطريقة لجمع البيانات من مصادرها اعتبرت كما يلي:

1. العملية المكتبية، أي جمع البيانات في شكل من أشكال الكتب و المقالات التي لها علاقة بهذا البحث، إما بالزيارة مباشرةً للمكتبة ذات الكتب و المقالات، أو بقراءة الكتب الإلكترونية المعينة نحو هذا البحث.

2. مطالعة الكتب، أي دراسة الكتب و مراجعتها التي تتصل بهذا البحث، لتكون بمثابة البيانات التي سيتم بعد ذلك وصفها.

3. الترجمة، ترجمة البيانات من اللغة الأجنبية و الأندونيسية إلى اللغة العربية لتكون سهلة في الفهم و الكتابة.

إن تحليل البيانات هو عملية تنظيم و ترتيب البيانات و تدويرها إلى قسم ما أو نوع ما و إلى وحدة الوريدة الأساسية. و للحصول على البيانات المرجوة يبدأ الكاتب بدراسة مصادر البيانات

و مطالعتها، حتى يحصل على النتائج الصحيحة فالأخير تنظيم تلك النتائج وتقسيمها إلى أقسام خاصة أو أنواع منفردة.

في هذا البحث، فإن الكاتب تقيم البيانات التي تم الحصول عليها من مصادرها الأساسية والثانوية ثم تنظمها إلى أجزاء محددة. يبدأ بتصنيف المتعلقات بالإتجاه الإجتماعي، ثم تصنيف المتعلقات حول المدرسة العقلية الحديثة و آثارها في الفكر الإسلامي. فتعد ذلك جاء الكاتب بتصوير موقف المدرسة العقلية الحديثة عن بعض القضايا الإجتماعية نظرا من تفسير السيد رشيد رضا و الشيخ محمود شلتوت لآيات القرآن الكريم و تطبيق تفسيرهما على تلك القضايا، بالمنهج التصوري.

ز. ترتيب الكتابة

قسم الكاتب كتابة هذا البحث إلى خمسة أبواب:

الباب الأول: مقدمة، يتكلم الكاتب عن بواعث البحث التي يعبر و توضح الأسباب التي تسبب الكاتب في اختيار الموضوع، ثم يعين البحث في تحليل المسألة و يتبعه بتحديد الموضوع لتوضيح البحث و تحديده و المنع على خلاف الفهم ثم يبين عن أهداف هذا البحث و أهميته ثم دراسة سابقة لمعرفة الدراسات التي تتعلق به ثم يتكلم عن منهج البحث، و فيه يبين عن نوع البحث و عن البيانات و مصادرها و كيفية جمعها، و أخيراً يقدم الكاتب عن ترتيب الكتابة.

الباب الثاني: الملاحظات العامة على الإتجاه الإجتماعي في تفسير القرآن، سوف يتكلم

الكاتب عن المقصود من الإتجاه الإجتماعي. يبدأ الكاتب كتابة هذا الباب ببيان مفهوم الإتجاه

الإجتماعي في تفسير القرآن و خصائصه و تطوره. إن هذا الباب منطلق أول لفهم البابين بعده.

الباب الثالث: المدرسة العقلية الحديثة و أثرها في تطور التفسير. عرض في هذا الباب

المعلومات حول نشأة المدرسة العقلية الحديثة و آثارها في الفكر الإسلامي و منهجها في تفسير القرآن.

الباب الرابع: موقف المدرسة العقلية الحديثة عن القضايا الإجتماعية، عرض في هذا

الباب موقف المدرسة العقلية الحديثة على بعض القضايا الإجتماعية-الدينية نقلت من آراء كبارها

التفسيرية لآي القرآن وهما السيد رشيد رضا و الشيخ محمود شلتوت. و أما القضايا الإجتماعية التي

يقدمها الكاتب هي "الدولة الإسلامية السياسية و أسسها"، و "الحرية في العقيدة و التسامح بين الأديان"، و "العدالة الجندرية و دور المرأة إجتماعيا".

الباب الخامس: خاتمة، يختتم الكاتب بخلاصة البحث و هي النتائج و الإقتراحات.